ظاهرة لزوم ما لايلزم عند أبي العلاء : ج ٢

المحاضرة الثانية : للدراسات العليا

الدكتوراه /الأدب

للعام الدراسي:٢٠٢٣-٢٠٢٤م

الاستاذ الدكتور لؤي صيهود التميمي

الصورة عند المعري:

عندما يصور شاعر ما شيء ما دقيقة قد يبهرنا لكنها صورة من الممكن توقعها من شاعر بصير استعمل مخيلته فانتجها ،لكن يستوقفنا الامر عنما نجد شاعر كفيف يصور أمور عظيمة قد لا تدرك بالالفاظ إنما يحتاج تصويرها الى مشاهدتها بكل أحداثها وتفاصيلها ،هذا ما وجدناها في شعر الشاعر المعري من صورة شكلت صدمة للمتلقي ،ولكن عندما نطلع على سيرته لا نستغرب ذلك ؛لانه لم يأتي إليه من فراغ وإنما من خلال قدراته السمعية وحدسه وكثرة اطلاعه وثقافته الواسعة وتمكنه من اللغة العربية ومعرفته باللغات الاخرى وثقافته التاريخية ومعرفته العلمية بمختلف العلوم والفنون مع حبه للفلسفة والحكمة و قدرته وذكائه بالاضافة الى ما يمتاز به الكفيفين من الموهبة الابداعية فيستعملونها – ومنهم المعري-لاثبات الذات وتحدي العاهة والاعتزاز بالنفس فيصبح مبصرا بقلبيه وأذنيه بل بكيانه كله فيرى ما لايراه المبصرون فيصور الاشياء ويضيف إليها من مخيلته، يؤكد المعري مصادر صورته بقوله :

ماكان في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرف.

فقوة السمع والحدس مع الثقافة والمعرفة خلطها الشاعر في مخيلته فكونت له مزيجا مختلفا وظفه في تكوين الصورة الذهنية ثم أودعها في شعره ...وهذا ما سنراه في الأمثلة الآتية:

ليلتي هذه العروس من الز نج عليها قلائد من الجمان.

وهذه صورة لليلة بلا قمر منتشرة فيها النجوم كعروس زنجية متناثرة حبات اللؤلؤ على عنقها...فهي صورة متقنة ووصف دقيق تدل مخيلته الواسعة .ولعل عمق الصورة من السمات التي برزت عند الشعراء المكفوفين كالمعري وقبله بشار بن برد في قوله:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وهذه لوحة فنية ومشهد سينمائي وصورة ذهنية يصعب إلتقاطها ،إذ نرى وقع السيوف ككواكب تخرج من مداراتها تتهاوى من السماء لتسقط على رؤوس الاعداء (شبه لمعان السيوف اثناء القتال بلمعان النجوم) ومن الوصف هذا يخييل إلى المتلقي شدة المعركة وضراوتها.

كما عمد المعري إلى اللون الاحمر ووظفه لانتاج الصورة –وهو آخر ما يتذكره بعد اصابته بالجدري الذي تسبب له بالعمى-وربطه بالدم والنحس والتشاؤم والحزن وكذلك اللون الابيض والاسود للدلالة على الخير والشر

...أما بقية الالون فنجدها باهتة بشعره لم تعطي قوة للصورة كما في اللون الاحمر والاسود والابيض.

جوانب التجديد في اللزوميات:

١ـالتجديد في البناء :اتخذ من القصيدة شكلا هندسيًا وقالبًا أودعه فيه معرفته وسعة علمه وبراعته اللغوية وكان قاصدًا إليه ليمتاز به عن غيره ممن سبقوه من الاوائل ركز وليحقق رؤيته عن الانسان والعقل والحياة وغيرها ،فستوعبه قالبه كل هذا.

٢ـ التجديد في اللغة:متى ما تمكن الشاعر من اللغة وغاص في فيها وسبر أغوارها وعرف أسرارها كانت مطاوعة له وتمكنه منها فيبدع بها ويتلاعب بألفاظها ،وأبو العلاء متمكن من اللغة بنحوها وأصواتها ودلالاتها وتراكيبها وصرفها ،فكان نحاتا ورساما عرف كيف يوظفها ويجعل ألفاظها قالبا لشعره ،بل الفظ هو مطلبه ؛إذ يقول :

طلبت مكارما فأجدت لفظا كأنا خالدانِ على الزمان

كأن الله وهبة له اللفظ ليكون أثرا يخلد به ،يستنطقه فيستجيب له ويكون طواعية بين يديه كالطين يصنع منه ما يريد.

امتزاج اللغات:تمكن المعري من العديد من اللغات منها الفارسية والسيريانية الى جانب العربية فأدخل الفاظ من اللغات الاخرى في أشعاره ،ويمكن القول أن هذا الامتزاج له دور في صنعة اللزوميات ،منها قوله:

وخان خانا زمان ماوفى لفتى وليس يغفل عن قيل بشيرازا

وهناك كثير من الالفاظ الاعجمية التي أدخلها في أشعاره ،بالاضافة الى استعماله المصطلحات العلمية (الفلك والهندسة وعلم العروض وغيرها)

وهذا الامر رفضه

كثيرا من النقاد رافضين اثقال الشعر بمصطلحات علمية قد تخرج الشعر من غرضه وتبعده من تمييزه عن باقي المعارف والفنون .

أما هدف المعري من امتزاج اللغات واستعمال المصطلحات العلمية هو تحقيق هدفه في تنمية العقل أولا ولتحقيق اللزوم والتعقيد وصنعة التي يصبو إليها في شعره.

الاوزان والموسيقى:

من المعلوم أن أوزان الخليل والبحور العربية المعروفة لم يزيد عليها أي شعر شيئا لكنهم تفننوا فيها ووظفوها بما يخدم اغراضهم و مقاصدهم ، والمعري جعل اللزوم فيها شكلا أي أنه لزم نفسه في ترتيب قصائده على وفق ترتيب

بحور الشعر الخليلية فبدأ بنظم قصيدة على وزن البحر الطويل ثم البسيط ثم الوافر وهكذا لكنه عمد الى التنويع في أضرب كل بحر لدفع الملل والرتابة وللتنويع في الموسيقى والالحان ،وهو الأمر ذاته في القافية إذ ألزم قوافيه فجعلها مرتبة حسب حروف الهجاء العربية.

نقد العقل العربي:

ازدهر الحياة الفكرية والعقلية في عصر المعري إلا إنهم مالو الى اللهو والانشغال في الدنيا والانجرار وراء احداث الدنيا فرفض المعري هذا ودعا الى اشغال العقل بقضايا عظمى لتحقيق غايات سامية وهذا يتطلب اعمال الفكر والتفكير من خلال التساؤل والشك رغبة في الوصول الى الحقيقة ،وليكون مرشدا لصاحبه ؛لذلك عنده العقل بمنزلة النبي أو الامام،إذ يقول :

أيها الغر إن خصصت بعقلٍ فاسألنه فكلُ عقلٍ نبيُ

ونقد العرب لضعفهم وخوفهم من مواجهة السلطة فاهملوا عقولهم وتركوها فاصبحت كالارض البائرة وكالسيف الذي أصابه الصدأ،فيقول:

لقد صدأت أفهام قوم فهل لها صقالٌ ويحتاج الحسام إلى الصقلِ

وهو القائل :

مُلكُ المقام فكم اعاشرُ أمةً أمرت بغير صلاح أمراؤها

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

والمعري في كل مما سبق كان حذقا وبارعا ،عمد الى اللزوميات فأحسن وأبهر حتى شكل ظاهرة اتبعه من بعده عدد من الشعر في عصره وحتى في العصر الحديث ولا سيما من شعراء مدرسة الاحياء وعلى رأسهم البارودي .

نص شعري للمعري:

الفِكرُ حبلٌ متى يُمسك على طرفٍ

منه ينُط بالثريا ذلك الطرف

والعقلُ كالبحرِ ما غيضت غَوارِبُه

شيئا ومِنه بنو الأيامِ تغترِف

أبني بجهلِيَ دارا لست مالِكَها

أقيمُ فيها قليلا ثمَّ أنصَرِف

سَرفت والله يرجى أن يُسامِحنا

وفي القديمِ خلا من أهلِهِ سَرِف

أأنكِرُ الله ذنبا خطه مَلَكٌ

وبالذي خطه الإنسانُ أعترِف

تقوى فيهدى إليكَ الزادَ عن عرضٍ

وتفترِي الأرضَ جوالا فتقترِف

تروم رزقا بأن سمّوكَ متكِلا

وأدينُ الناسِ مَن يسعى ويحترِف

يكفيكَ أدما بنحضٍ ماءُ نابتةٍ

وظلمكَ النحلَ ما يعطيكَهُ الضِرف

إذا افتكرنا علِمنا أنّ ذا ضعةٍ

أعلى النجومِ ولِلهِ انتهى الشرَف

المصادر والمراجع:

-تاريخ آداب العرب :مصطفى الرافعي ،مؤسسة الهنداوي ،(٢٠١٧).

-لزوم ما لايلزم :المعري ،تحقيق:أمين الخانجي ،مكتبة الخانجي ، القاهرة،(د.ت).

-التجربة الشعرية عند ابي العلاء المعري(رسالة ماجستير):نعيمة سعيد،اشراف:عبد النبي سالم،جامعة طرابلس-ليبيا،٢٠١٥م.

-التقليد والتجديد في شعر ابي العلاء المعري:خالد بن أسيمر ، اشراف :د.مختار الفجاري ،جامعة طيبة –السعودية،٢٠١٣م.